دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	سيميائية الخطاب السياسي : الشعر في الحجاز نهاية عهد الدولة العثمانية أنموذجاً
المصدر:	مجلة الدراسات اللغوية والأدبية
الناشر:	الجامعة الإسلامية العالمية
المؤلف الرئيسي:	الزهراني، فيصل بن صالح بن محمد
المجلد/العدد:	س10, ع1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2018
الصفحات:	125 - 142
رقم MD:	881886
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الدولة العثمانية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/881886

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

دراساتٌ لغويّة:

سيميائية الخطاب السياسي: الشعر في الحجاز نهاية عهد الدولة العثمانية أنموذجاً

Political discourse semiotics: Hijaz poetry at the end of Othman empire

Ciri semiotik wacana politik: Syair Hijaz pada akhir tempoh Empayar Othmani

فيصل بن صالح الزهراني*

ملخص البحث:

يعد الأدب العربي في إقليم الحجاز جزءاً من أدب الأمة العربية الجميل؛ لكن الدراسات الأدبية لا تزال غير كافية على الرغم من بذل بعض الباحثين جهوداً لجمع مادته الأدبية التي لا يزال كثير منها مخطوطاً أو مفقوداً أو مخفياً لأسباب متعددة. يبحث المنهج السيميائي عن المعنى من خلال البحث عن الاختلاف الداخلي للمعاني عبر المنهج السيميائي لتحليل الخطاب الشعري؛ وذلك من منطلق المنهج السيميائي في دراسة النصوص الشعرية والتي تؤكد أنها تتكون من نظام لغوي يعطي مجموعة من المعطيات الخاصة، وهذه الرؤية أسقطها المنهج السيميائي على أغلب النصوص الإبداعية، مع تميز النص الشعري بقدرته على اختزال المعنى، وتسعى هذه الدراسة إلى تتبع الشعر السياسي في الحجاز والوقوف على الدلالات التي يبرزها التحليل السيميائي من خلال المعنى الشعري، وذلك باتباع المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث تبدأ بمقدمة تعرف ببعض المصطلحات الهامة مثل: إقليم الحجاز، السيميائية، الشعر السياسي، وستقوم عناصر التحليل لعدة مستويات: تبدأ الخطاب العام، والمستوى المعجمي، والمستوى التركيبي، ثم المستوى التركيبي.

الكلمات المفتاحية: الشعر السياسي – السيميائية – الخطاب العام – المستوى المعجمي– المستوى التركيبي.

Abstract

Arabic literature in Hijaz area is a part of magnificent Arabic literature. Much of literary works are still missing for many reasons despite the effort of some researchers

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية.

أرسل البحث بتاريخ: ٢٠١٧/١٠/٢٢م، وقبل بتاريخ: ٢٠١٨/٤/٢م.

in collecting and recording them. The semiotic approach looks into meaning by examining its internal differences through semiotic method to analyze poetic discourse. The semiotic approach helps in studying the poetic texts that reveal that it contains a language system that implies certain inputs. This very method helps to reveal such a perception on most of creative texts, with the distinction of the poetic text as having the ability to compress meaning. This paper aims at tracking the political poems in Hijaz and dwell on the meaning revealed by the semiotic analysis through the poetic meaning. The study makes use of the descriptive analysis method. It begins with the definition of some significant terms such as: Hijaz, semiotics, political poems; the analysis is based on certain levels: it begins with the general discourse, lexical and phrasal levels.

Keywords: Political poems, semiotics, general discourse, lexical level, phrasal level.

Abstrak

Satera Arab di Hijaz adalah sebahagian daripada kesusasteraan yang gemilang. Namun masih banyak karya-karya yang masih hilang disebabkan banyak faktor walaupun usaha-usaha para pengkaji dalam mengumpul dan merekodkannya. Pendekatan semiotik ini melihat aspek makna dengan melihat perbezaan dalaman melalui metod semiotik untuk menganalisa wacana syair. Pendekatan ini juga menolong menyingkap sistem bahasa tertentu yang menandakan input tertentu. Ia juga menolong menyingkap untuk menyerlahkan persepsi tertentu tentang kebanyakan teks kreatif, terutamanya kelebihan teks puitis untuk memampatkan makna. Kajian ini bertujuan untuk mengesan syair-syair politik di Hijaz dan mengkaji makna yang diserlahkan melalui analisa maksud puitis. Kajian ini menggunakan metod analisa deskriptif. Ia dimulakan dengan definisi beberapa terma penting seperti: Hijaz, semiotic, syair politik; analisa yang dibuat adalah berdasarkan kepada beberapa tahap: ia bermula dengan wacana umum seterusnya tahap-tahap leksikal dan phrasa.

Kata kunci: Syair politik, semiotic, wacana umum, tahap leksikal, tahap frasa

مقدمة:

اختلفت أساليب قراءة النص الأدبي باختلاف الأطر النقدية المتنوعة المتأثرة بالنظريات اللغوية والبلاغية والفلسفية، وأدى هذا التنوع إلى اختلاف قراءة النص الأدبي وتفسيره، والمنهج السيميائي أحد هذه المناهج الحديثة المسهمة في تقديم قراءة خاصة للنص؛ من خلال تحليل العلامات والدلالات الخاصة للخطاب والمضمون للنصوص الأدبية، معتمداً في ذلك على مجال اللسانيات النصية المهتمة بدراسة النص على أساس النظرة الكلية القائمة على إدراج ذلك النص في كيان أكبر، وهذا يفسر معنى الاتجاه أو الخطاب الأدبي، وهذا ما يعرف بالإبلاغ الأدبي المتأثر بعوامل تكوين الشخصية الأدبية المتغيرة بتغير محددات مختلفة كشخصية المبدع، والمؤثرات الداخلية، والخارجية المتصلة به، والتي تؤثر بشكل كبير في عملية الخلق والإبداع الأدبي.[١]

وبهذا ركزت السيميائية على دراسة المتتابعات العلاماتية في العمل الأدبي، فالعلامة إشارة شارحة لبعض الدلالات الخاصة في النص الأدبي، فهي في مجموعها تكون منهجاً نقدياً خاصاً من خلال جمع تلك العلامات، ومحاولة فك شفراتها بين طرفي الدال والمدلول، فكل نسق وعلامة من العلامات يعتبر شفرة لها مدلولاتها ووظيفتها الخاصة في النص الأدبي.[٢]

وبهذا يمكن القول بأن المنهج السيميائي –العلاماتي– منهج حديث يسعى إلى جمع العلامات والدلالات وتحديد دورها، وغالباً ما تختلف تلك العلامات باختلاف التفسير السيميائي لها، وهذا يعطي المنهج السيميائي اتساعاً؛ بحيث يشمل الخطاب الأدبي ويتعدى إلى بقية الخطابات الأخرى، كالخطاب اللغوي، والخطاب العلمي، والخطاب التاريخي، وخلاف ذلك من الخطابات الإنسانية الأخرى، وكل ذلك يتطلب قدرة لدى الناقد في اكتشاف الأنساق الدلالية، ولعل تعريف عالم اللغة فرديناند دي سوسير (Ferdinand De Saussure) لمفهوم اللغة أسس للمنهج السيميائي؛ فهو يرى أن اللغة: (نظام من العلامات تعبر عن الأفكار)،[٣] ومن خلال تعريف دي سوسير للغة نلمس تنبؤه بعلم السيميولوجيا، وذلك من خلال تعريفه لعلم اللسانيات، والتي يرى أنها دراسة للغة الانسانية، والتي تختص بدراسة كل أنظمة العلاقات اللسانية وغير اللسانية؛ بحيث إن القوانين التي تكشف عنها السيميولوجيا أو تتوصل إليها صالحة وقابلة للتطبيق عن اللغة نفسها.[٤]

فعلم منظومات العلامات التي دعا إليه دي سوسير يدل على اهتمامه باللغة باعتبارها منظومة من العلامات المتراكمة، وبذلك تربط العناصر اللغوية،[٥] وهذا يعطي الدرس السيميائي اعتباطية في العلامات؛ ما يمنح الدال والمدلول مدلولات لانهائية، ويمكن للتحليل الأدبي الإفادة منه من خلال خلق منهج تحليلي خاص بواسطة دراسة اللغة، في محاولة لمعالجة الأنساق الدلالية الخاصة للخطاب الشعري وفق المضامين المختارة.

واستفاد المنهج السيميائي في تكوين قواعده من العديد من النظريات اللسانية المتعددة، وأفاد أيضاً من علم النفس الاجتماعي، وهذا ما أشار إليه دي سوسير وألجرداس جوليان غريماس (Algirdas Julien Greimas)؛ حيث أوضحا أهمية امتزاج علم النفس والمنهج السيميائي، وذلك من قاعدة العلاقة بين الدال والمدلول في العلامات اللغوية،[٦] بهدف الوصول إلى تحليل عميق لفهم النص الأدبي، ولعل أوضح تعريف يجمع ذلك كله ما حرره فان ديك (Van Dijk)؛ حيث رأى أن المنهج السيميائي هو العلم الذي يعالج بصفة خاصة العلامات، ونظام العلامات في شكل رموز ومعانٍ وأوجه اتصال، وهو مكون –إلى جانب النحو؛ أي تحليل العلاقات بين العلامات، وعلم الدلالة؛ أي تحليل العلاقات بين العلامات والمعاني والواقع الخارجي.[٧]

وتركز هذه الورقة على دراسة الخطاب السياسي في الحجاز نهاية الدولة العثمانية بواسطة المنهج السيميائي، وهذا الموضوع ذو جانبين الأول: فيما سبق؛ ويتصل بمفهوم المنهج السيميائي؛ والذي يقوم على ثلاث مبادئ رئيسة، وهي:[٨] التحليل المحايث الذي يبحث عن العلاقة بين الدلالات الداخلية للنص، ويركز على كل ما يتصل بإنتاج المعنى وإظهاره؛ والتحليل البنيوي الذي يقوم على أساس فهم المعنى من خلال الربط بين تلك الدلالات والبحث في الاختلاف الحاصل بينهما؛ أما تحليل الخطاب فأشمل وأعم من المستويين السابقين؛ لأنه لا يركز على الجملة أو المفردة فحسب بل يقرأ كل الدلالات، ويجمع بينهما في نظام واحد يعبر عن الاتجاه العام للنص الأدبي.

والنص الأدبي في هذه الدراسة يتصل بالخطاب السياسي، وقبل البدء في التعرف على سيميائية ذلك الشعر السياسي لابد لنا من معرفة معنى كلمة سياسة، وبالبحث في المعاجم العربية نجد إنها بمعنى: الأمر والنهي، والقيادة فذكر أنَّ: (السوس الرياسة يقال ساسهم سوسا... ويسوس الرجل أمور الناس إذا ملك أمرهم... والسائس هو الراعي)،[٩] ويؤكد هذا بقولهم: (سست الرعية أمرتها ونهيتها)؛[١٠] بمعنى القيادة، وبهذا يكون معنى كلمة السياسة هي: (القيادة والقيام على تدبير أمور الرعية وصيانة النظام).

والشعر السياسي هو: (ذلك الشعر المتصل بمعنى السياسة ويصف ذلك العمل إمّا بالتأييد له أو بالرفض, فهذا الغرض يتصل بنظام الحكم الداخلي، فيناقش أحقيته في الولاية وطريقته في تنظيم الأمور الداخلية من جهة ويتصل بعلاقة الدولة بمحيطها الخارجي، وما قد تتعرض له من صراعات أو أزمات أو حروب مع الدول المعادية لها)،[١١] ولم يعرف المجتمع العربي نظام الحكم بمعنى قيام دولة إلا بقيام دولة الإسلام، على الرغم من وجود بعض الإشارات الشعرية التي تدل على معنى الانتماء السياسي قبل الإسلام، ومن ذلك قول دريد بن الصمة:

وما أَنَا إِلَا مِن غَزِيَّةَ إن غَوَت غَوَيْتُ وَإن تَرْشَد غَزِيَّةُ أَرْشِدِ[١٢]

وهذا الاتجاه السياسي لدى الجاهليين غالباً ما تجده في أغراض الفخر أو الهجاء أو المدح، ومن ذلك مدح زهير بن أبي سلمى للهرم بن سنان والحارث بن عوف لما أقاما السلم بين قبيلتي عبس وذبيان بقوله::

يَمِيناً لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيْلٍ وَمُبْرَمِ
تَدَارَكْتُمَا عَبْساً وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ
وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعاً بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلَمِ[١٣]

ففي هذه الأبيات يظهر لنا قدم العلاقة بين الشعر والسياسة في الأدب الجاهلي.

وفي زمن البعثة المحمدية قامت أول دولة في المدينة المنورة، فنشبت العديد من الحروب بين دولة الإسلام ومجتمع الكفر، فظهر فرسان من نوع خاص، ألا وهم شعراء الدعوة الذين يشتركون في معانيهم مع عامة شعراء الاتجاه السياسي في العصر الحديث، ومن أولئك: (حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحه)، واقتصر الشعر السياسي في تلك الفترة على إظهار دين الحق، وفي عهد الخلفاء الراشدين كان هذا الشعر يؤدي دوره في إبراز دور الخلفاء في نشر الدين من خلال الفتوحات الإسلامية ثم اختلف اتجاه الشعر السياسي بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، فبدأ الصراع على الخلافة فظهرت طوائف عدة منها من يشايع أهل البيت، ومنهم من خرج على الخلافة وأصبح لكل جماعة شعراؤها الذين يدعون بأحقية من يناصرون في الخلافة، واستمر هذا الاتجاه خلال عصر الدولة الأموية والعباسية وما تلاها من دول متتابعة مع ظهور بعض القصائد في تحفيز الدولة الإسلامية للخلاص من الصليبيين،[١٤] وامتد ذلك حتى العصر الحديث مع اهتمام الشعراء بالوعي القومي ومقاومة الاستبداد والظلم سواء من المستعمر أو الحاكم عربياً كان أم أعجمياً.

وظهرت معاني الشعر السياسي في هذه الحقبة متعددة الموضوعات؛ ما بين رفض الاستعمار وتحفيز الشعور القومي وإثارة الثورات الداخلية وسيلةً للخلاص من الظلم، وامتلأت دواوين الشعراء في هذه الفترة بالعديد من القصائد التي تصور أنواع القهر الذي تعرضت له الأمة العربية في مختلف أقطارها.

وستحاول هذه الدراسة تتبع نماذج من الشعر السياسي في إقليم الحجاز في حقبة ضعف الدولة العثمانية، وقبل الدخول في عرض تلك النماذج الشعرية لابد لنا أن نقترب من معالم هذا الإقليم، وللتّعرف على هذا الإقليم لابد من تحديد موقعه، ومن يتتبع حدود هذا الإقليم الجغرافية يجد أن هناك خلافاً بين المؤلفين في تحديده؛ حيث أخذ مصطلح الحجاز حيّزاً ليس يسيراً في المعاجم العَرَبِيَّة، فتناول المؤلفون اسم هذا الإقليم بالوصف والتعليل؛ حَيْثُ ذُكِرَ فِيْ سَبَبِ تسمِّيته بهذا الاسم لأسباب عدة أغلبها يتعلق بموقعه الجغرافي، ومن تِلك الأسباب: أن الحجاز سُمِّي بذلك؛ لأنَّهُ يحجز بين هضاب نجد وسهول تهامة، وقيل لأنَّهُ يحجز بين السّراة ونجد، ونُقِل عن الأصمعي أنه سُمِّي حجازاً؛ لأَنه يُحْتَجَزُ بسلسلة من الجبال، وحُدِدَت مدنه باثنتي عشرة داراً منها طيبة الطيبة، وقيل: إِنّما سُمِّي بالحجاز؛ لأَنه

يحجز بين أرض تهامة وأرض نجد، فمكّة المكرمة تهامية وطيبة الطيبة حجازيّة، والطّائِف حجازيّة؛ وقيل عن حدُّ الحجاز إنه من: (معدن النقرة إلى طيبة الطيبة)، فنصفُ المدينة المنورة حجازيٌّ ونصفها الآخر تهاميٌّ، وذُكِرَ عن ابن أَبي شَبَّةَ أَن طيبة الطيبة حجازيّة،[١٥] ونُقِلَ عن الأَصمعي: (الحجاز من تخوم صنعاءَ إلى تخوم الشام، وإنّما سُمِّي حجازاً؛ لأَنَّهُ حجز بين تهامة ونجد).[١٦]

أولاً: الحياة السياسية في الحجاز

منذ العقد الثاني من القرن العاشر الهجري وبلاد الحجاز ترزح تحت الحكم العثماني؛ حيث سَلَّمَ الشريف بركات[١٧] مفتاح الكعبة المشرفة للسلطان سليم الأول بعد بسط نفوذه على مصر عام٩٢٣هـ، وتم ذلك لخوف الشريف بركات من اقتحام السلطان العثماني لإقليم الحجاز وإنهاء حكمه فيها، وأمتد حكمهم على الحجاز بعد ذلك وشهد الكثير من الأحداث[١٨]، ولعل من أبرزها إفشال كل المحاولات الرامية لإسقاط الحرمين الشريفين في يد المستعمرين، ومن تلك محاولتان برتغاليتان لاحتلال مدينة جدّة عامي ٩٢٣هـ و٩٢٦هـ.[١٩]

وكانت سياسة الدولة العثمانية تجاه إمارة الأشراف تهدف إلى نزع السلطة منهم تدريجياً منهم بدعوى إصلاح النظام الإداري، وإدخال تشريعات تزيد من مركزية إدارة الحجاز وربطه باستانبول مستغلين التنافس بين أمرائه، والإيحاء لهم بوجوب طاعة السلطان، ناهيك عن إضافة الدولة العثمانية لبعض الوظائف الإدارية التي تضعف حكم الأمير كوظيفة المحافظ الذي له من النفوذ ما يضاهي نفوذ الأمير إن لم يزد عليه،[٢٠] فزادت الدولة العثمانية صلاحيات الوالي العثماني في مكة والمدينة المنورة، ففي المدينة أعطي مشيخة الحرم، والحق في عزل الأمير، وصلاحية تحريك القوات، وتعيين القاضي، وقائد الحامية العسكرية في القلعة.[٢١]

وبهذا التنظيم أصبحت المدينة المنورة تابعة للأشراف من جهةٍ، وتحت عين الدولة العثمانية من جهة أخرى؛ ولذلك أهملت فدخلت في عزلة سياسية، وأصبحت مكة المكرمة مركز الإمارة مكّة وموقع الحدث والصراع بين الأشراف على إمارتها، ومع إهمال الأشراف للمدينة إلا أنهم استفادوا من مواردها؛ فأمروا بتحويل دفع رسوم زيارة المسجد النبوي إلى مكّة؛ حيث يدفعها الحاج أو المعتمر الراغب في ذلك مرة واحدة لإمارة مكّة،[٢٢] وكان ذلك في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين؛ حيث كانا قرنين هادئين في حياة المدينة السياسية.

وفي بداية القرن الثاني عشر الهجري زاد تنافس أمراء مكّة من الأشراف على إمارتها،[٢٣] ولم تُرْسِل إمارة مكة المنح المعتاد إرسالها للقبائل المجاورةِ للمدينةِ لقاء عدم تعرضهم للحجاج والزوار، فهاجمت بعض تلك القبائل المدينة المنَوّرة، ونهبت أطرافها، ومن نتائج ذلك الانشغال والتسابق على تولي الإمارة أيضاً نشوب نزاعات في مجتمع المدينة المنورة في حدود عام١١٢٧هـ.[٢٤]

ثانياً: سيمائية الشعر السياسي في الحجاز

إن البحث عن المعنى من خلال التدقيق في بنى الاختلاف والدلالة الحادثة منها مع الأخذ بلغة الشكل هو مبدأ التحليل السيميائي.[٢٥] وكما عرفنا أن تحليل الخطاب الذي يبرز القدرة على بناء انتاج الأقوال والتي يمكن استنباطها من العلامات المتاحة في النصوص الشعرية السياسية، وهذا من منطلق أن هذه العلامات ذات نظام قائم بذاته داخل النصوص، وهي ما يوفر لنا فهما لسياقات الخطاب السياسي الشعري من خلال إعادة تشكيله وقراءته بالطرق السيميائية عليه؛ نظرا إلى كثافة المتتابعات فيه مع قصر النص الذي لا يتجاوز بضع صفحات، وهذا يتيح للدارس تتبع خصائص النص السياسي من الناحية الصوتية والتركيبية والمعجمية، ومحاولة الخروج منها بأنساق وعلامات خاصة به.

والمتتبع للشعر الحجازي نهاية العهد العثماني سيجد فيه اتساعاً عظيماً؛ حيث طرق أولئك الشعراء موضوعات متعددة يستحيل على هذه الورقة الإلمام بجميع تلك الأنساق والجمع بينها؛ ولكن سيتم تتبع الخطوط العريضة لهذا الشعر مع محاولة التركيز على جميع مضامين الشعر السياسي في تلك المدة، في محاولة للخروج بتحليل سيميائي مع عرض بعض النماذج الشعرية المختارة.

١. مستوى الخطاب الدلالي العام:

تنوعت مضامين الشعر السياسي الحجازي وتعددت موضوعاته، وإن تتبعنا هذه الموضوعات سنجدها تدور في مجموعة من العناوين المختلفة، ولكل عنوان منها عدة موضوعات تشترك فيما بينها في عدة دلالات تربط بينها، ويمكن حينها أن نقول بأنها ذات عنوان مشترك، ومن أبرز تلك المضامين السياسية، شعر النكبات والفتن الذي يعنى بعرض الفتن التي لحقت بالمجتمع الحجازي، وقد عرفنا أن بداية القرن الثاني عشر في الحجاز كان حقبة اضطراب وتذبذب بسبب ضعف إدارة السلطان لأمور الدولة، وهذا أدى إلى تنافس المتنفذين على الإمارة في الحجاز، وأثر ذلك في استقرار المجتمع الحجازي بشكل عام، فظهرت العديد من الفتن، ومنها على سبيل المثال لا الحصر فتنة الأغوات،[٢٦] وتلا ذلك صراع الفرق العسكرية، كفتنة (النوبتجاية)،[٢٧] وثورة حسن كابوس،[٢٨] وانتقام الشريف سرور[٢٩] من أهل المدينة عام ١١٩٤هـ، وقد صور الشاعر جعفر البيتي[٣٠] شيئاً من هذه الفوضى التي عصفت بالمدينة في تلك الحقبة، ومنها فتنة العهد الواقعة سنة ١١٣٤هـ، وتقع في أكثر من تسعين بيتاً وصور فيها الأحوال العامة بالمدينة المنورة، فيقول:

المجــدُ تحتَ ظِــلال سُمر الذبْل ... وظِبا القَوَاضِـب والجيَاد القُفْل

المــورِيات العَادِيات ضَـوابِحا ... الصّــافِنَات النَّافِـرَات الجُـفْن

لا عَـاشَ مَنْ تَرضَى المذَّلَة نَفسَه ... طوعاً وعَن شَاو المفَاخِر يأْتَلي

تَعِست حَـياة لا تُشَـاب بِعِـزّة ... غَــبْراء بيّن مَــهَابة وَتَـذَلّل[٣١]

فيلاحظ أن الخطاب الشعري قد ارتكز إلى بعض الاشارات المهمة؛ فهو يشير إلى ما تحققه القوة العسكرية في رفع الظلم الحاصل من الأغوات، فرفع الظلم هو الإشارة الأولى إلى أغلب هذه القصائد الواصفة لحالة المسلمين في حالة الفتن السياسية، وهذا الخطاب يكرره في قوله: (لا عاش من ترضى المذلة نفسه)، ولهذا الشاعر أيضاً مقدمة أخرى تشتمل على ذكر الظلم ووجوب التفكر فيه؛ لإن عاقبته وخيمة؛ حيث قال ناصحاً أمير مكة، ويطلب منه إيقاف الظلم الحادث عام ١١٤٨هـ، فقال:

قِفوا تَنْظُرُوْا آثَار مَا فَعَل الْظُّلْم وجُوسُوا خِلَال الْدَّار تُنْبِيْكُم الْأَكَم[٣٢]

فذكر الظلم والتذكر فيه ومزجه بالمعاني الإسلامية صفة واضحة في الاستهلالات المتكررة لشعر النكبات السياسية في تلك الحقبة، وهذا الخطاب السياسي يستمده اولئك الشعراء من قول الله: (والَذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)،[٣٣] ويظهر أيضاً تكرار ذلك الاتجاه المستنكر للظلم في تلك المقدمة الباكية التي يقول فيها الشاعر البيتي في فتنة حسن كابوس عام ١١٥٥هـ:

بَكَى عَلَى الدَّارِ لما غَـابَ حَامِيها وجَـرّ حَاكِمَها فِـيها أَعَـادِيها
يَا دِمْنَة سَلَبَت مِنْـها بَشَـاشَتها وأُلبِـسَت مِـن ثِيـاب المحل بَاقِيها
فَـمَن مُـعِيني بَأَحــزَانٍ يُضَـاعِفُها عـلي؟ مَـنْ لِعُـيُوني؟ مَنْ يُواسِيها؟
يا صَاح نَادِ البَوَاكِي وابْك أَنْتَ مَعي مِـن الأَسَـى فَبِمَن نَرجُــو تَأَسِيهَا[٣٤]

فالبكاء من شدة الظلم والدعاء متكرر في الشعر الحجازي الموصوم بالفتنة، ومن ذلك أيضاً ما نظمه الشاعر محمد سعيد سفر؛[٣٥] حيث قال في فتنة الحرة، وهي فتنة وقعت على أهل المدينة في سبعة أشهر استبيحت فيها الدماء من عام ١١٥٦هـ:

عَلَى بَلْدَة الْمُخْتَار يُبْـكَي وَيُنْدَب وَيُشْكَي إِلَى اللّه الْعَظِيْم وَيُرْغَب
وَيُحْـزَن مِـما قَـد أَتَاهَـا مِـن البلى وَيُرْهَـب مِمَّا حَـلَّ فِـيْهَا وَيُرْعِب[٣٦]

وتستمر النكبات في المجتمع الحجازي نهاية العهد العثماني، وتتكرر السمة الغالبة على مطالع تلك القصائد فالشاعر أحمد الجامي[٣٧] نظم قصيدة في وصف فتنة ١١٨٩هـ، والمسماة (فتنة الدوس)؛ حيث ابتدأها بذكر التحسر على ما حصل في المسجد النبوي الشريف من تعطيل لذكر الله، فيقول:

وَمَسْجِدُه الْسَّامِي غَدا جَبْخَانَة وَحِصْنَا حَصِيْنَا عَافَه الْفَرْض وَالْنَّدْب
فيا ليت شِعْرِي هَل لَهَا فِي قِيَامِهَا عَلَى سَاقِهَا أَصْل فَيصْفَى لَهَا الْقَلْب
وَهَل هُو هَـدْم فِي الْشَّرِيعَة وَاقِـع فَـقَام لِتَعْمـــيْر لَه ذَلِك الْحِــزْب[٣٨]

ويشترك في ذات الخطاب ما كتبه عمر الداغستاني،؛ حيث قال في فتنة الشريف سرور عام ١١٩٤هـ:

أَمَّا سمِعَت بِمَا قَد صَار فِي بَلَد ال مُخْتَار طَه الْمُرَجَّى سَيِّدُ الْرُّسُل
مِن مُحْـدَثَات أُمُـوْر أَحْـدَثَت فــتَنا وَالْنَّـاس فِي شُــغل مِــنْهَا وَفِي شغل[٣٩]

فهذه الاستهلالات خطاب صريح يدعو فيه الشعراء أولئك المعتدين عليهم إلى العودة إلى الله والخوف من عقابه ومراعاة حرمة البيت المقدس، فضلاً عن تذكيرهم بمعنى الظلم ووجوب الوقوف، وعدم سفك الدماء وسلب حقوق الناس وأموالهم، وصيغة الخطاب الاستهلالي هذا ظهر في مقدمة مجموعة من القصائد التي استعرضناها في شعر الفتن والنكبات واحتوت ثنايا هذه القصائد على مضامين أخرى؛ حيث وصفت الحالة الدينية والأمنية لذلك الزمن، فالصلاة معطلة مثلما يصفها الشاعر البيتي؛ إذ قال:

أشدّ دارٍ خَـرباً لا عمارَ بها دَارٌ أَتَى هَدمُها مِن كَفِ بانِيها[٤٠]

ومن هنا يمكن لنا إدراك الكثافة العلاماتية لهذا الخطاب الموحد، فنجده متلائماً مع حالة ذلك العهد ويتفقون أيضاً في قضية وجوب رفع الظلم، فالبيتي يقر تلك الحقيقة، فيقول:

وَتَعَاهَدوا فِي الله أَنْ يَتَنَاصَروا فِي الدِّين لا يَخشون لَوم العَذل[٤١]

وبذات الخطاب يؤكد الشاعر محمد سعيد سفر، وجوب رفع الظلم عام ١١٥٦هـ فيستنصر الأشراف:

أَغِيثُوا أَغِيثُوا بَادِروا دَارَ جَدِّكُم فَقَد حرَقت الأَعراب فِيها وَخَرَّبوا[٤٢]

ومن ذلك قصيدة الشاعر محمد العمري في وصف تهجير أهل المدينة المنورة بسبب مشاركة الدولة العثمانية في الحرب العالمية؛ حيث اخليت من أهلها، وظلوا بتركيا حتى سمح لهم بالعودة بعد توقف الحرب، ووجدوا دورهم مسروقة ومزارعهم ميته،[٤٣] ومما قاله:

دَار الْهُـدَى خَـف مِنْـك الْأَهْـل وَالْسَّـكَن وَاسْـتَفْرَغْت جُهْـدَهَا فِي رَبْعَـك الْمِحَـن
عَفَـا الْمُصَـلَّى إِلَى سَـلْع إِلَى جُشَـم وَالْحَـرَّتَان وَمَـرْأَى أَرْضِـهَا الْحَسَـن
مَنَـازِل شَـب فِيْهَـا الـدَّيْن وَاكْتَمَلَـت آيَاتـه فَاسْـتَعَارَت نُوْرُهَـا الْمُـدُن
لِأَي أَرْض يُشَـد الْرَّحْـل رَاكِبَـه يَبْغِـي الْمَثُوَبَـة أَو يَشْـتَاقُه عَطَـن
أَبْعَـد رَوَّضَـتِها الْغَنَّـا وَقُبَّتِهـا الْخَـض رَاء يَحِلُّـوْا بِعَيْـنَي مُسْـلِم وَطَـن
مَا غُوطَـة الْشَّام ما نَهْـر الأدبلة مَا حَمرَاء غَـرْنَاطَة ما مُصِر مَا الْيَمَـن[٤٤]

ومن هنا نرى أن الاتفاق في انساق الخطاب السياسي جاء متواتراً في أغلب تلك النماذج السابقة، ولعلنا نستقصي ذلك أيضاً في مضمون آخر، ومن ذلك وصف بعض انجازات الدولة العثمانية مثل مشروع قطار الحجاز الذي تغنى به بعض الشعراء، فالأسكوبي[٤٥] يمتدح سياسة عبد الحميد الثاني في إنشاءه لهذا المشروع البناء:

سُـلْطَانَنَا عَبـْدُ الْحَمـِيْد الْثَّـانِي لِزَمـَـانِه فَـخَر عَـلَى الْأَزْمـَان
جُلِبَت مَزَايَاه الْقُلُوْب، وأوجبت شُــكْر لـه يُتْلـَى بِكُـل لِسَـان
فَلْـيَهْنِه خَـط الْحَـدِيْد مَـسَرَة بِـدُنُـوِّه وَوُصُـوْلِه لَمَـعـَان
وَمُـفَاخِـر مَا نَالَهَـا أَحَـد سَـوَا هـ, وَهَل سِوَاهَا مُمْكِن بِمَكَان؟
هِمَم الْمُلُوْك تَقَاعَسَت مِن دُوْنِهَا وَلَو أن فِيْـهَا سَاعِـد الثَّقَلَان
هَـذِي مَـعَالِم (طَيَبَة)،يَا حَبَّذَا، قَرُبَت، وَهَذَا الْبَيْت ذُو الْأَرْكَان
فَكَأَنَّـهَا وَالْشَـّام شَـيْء وَاحِد مُتَـجَـاوِرَيْن تُجَـاوُر الْإِخْـوَان[٤٦]

ويشارك الشاعر محمد العمري (ت ١٣٦٥هـ) في هذا الشعور الوطني المعتز بالمشروع الحضاري للدولة العثمانية في إنشاء خط القطار، فيقول:

هِمَم الْمُلُوْك عَظِيْمَة الآثَار تُدْنِي الْبَعِيد الْنَّازِح الْأَقْطَار
وشَوَامِخا شُمُّ الأنُوف تَزَحْزَحَت لَا يُسْتَطَاع صُعُوْدِهَا لِلْسَّارِي
خَط عَلَيْه بَوَاخِر مَوْقُوْرَة مِثْل الْجِبَال خَفِيفَة الْتَّسْيَار
جَبَل عَظِـيْم مِن حَدِيْد صَامِت يَجْـرِي عَلَى عَجَل بِأَمْر الْنَّار[٤٧]

فإذا نظرنا إلى هذين الأنموذجين وجدناهما يشتركان في إذكاء حالة من النشوة الوطنية؛ حيث يمجدان هذا العمل الذي أضفى للأمة في وقتهم مزيداً من العزة على الرغم من محاربة بعض القوى الاستعمارية لهذا المشروع، إلا أن قوة الخليفة كانت كافية لتحدي جميع المصاعب لربط أجزاء بلاده، ويشير الخطاب السياسي في ذكر هذا الإنجاز إلى القوة العسكرية التي يمنحها هذا القطار لهذه الخلافة المترامية الأطراف؛ فهو رمز للقوة والعزة، وهذا فيه تأييد لسياسة الدولة العثمانية الداخلية، وهي رسالة قوية للخارج.

وبما أن السياسة ذات اتجاهات تختلف باختلاف المصالح والرؤى، فإن شعراء تلك المدة أنفسهم اختلفت اتجاهاتهم السياسية، وتباينت مواقفهم ازاء بعض القضايا، وهذا يعطينا نوعاً آخر من السيميائية القائمة على الجمع بين الدلالات المختلفة، ومن ذلك موقف الشعراء في تلك الحقبة من الثورة العربية الكبرى خصوصا بعد أن أفسد حزب الاتحاد والترقي صورة العثمانيين في أعين المسلمين، ومن ذلك ما نظمه الشاعر عبد المحسن الصحاف،[٤٨] فأنشد يستنهض الأمة العربية للقيام للخلاص من سيطرة الأتراك بعد أن أفسد حزب الاتحاد كل الوشائج الدينية التي تربط العرب بالدولة العثمانية ومن قصيدته:

فَهُبَوْا يَا بَنِي الْأَوْطَان هُبُّوْا لِأَهْل الاتِّحَاد الْخَائِنِيْنا
وَقُوْمُوْا يَا بَنِي الْمُخْتَار قُوْمُوْا لِحِزْب الْخِزْي بَل لِلْمُفْسِدِيْنا
إِلَى فَتْك الْأَعَادِي فَاشْرِئِبُوا وَتَخْلِيْص لِعُرْب هَاتِفِيْنا
هَلُـمُّوا واهْرَعُـوا مِن كُلِ فَجٍ فَـإِن اللَّه مـوْلَى الْمُـؤْمِـنِيْنَا[٤٩]

وعلى النقيض من تلك النظرة نجد خطاب الشاعر محمد العمري يخالف ما ذهب إليه الصحاف؛ إذ يقول:

حَدُّ الْخِلَافَة مِن يَجْتَازُه ظُلْمَا وَمَن أَبَاح حِمَاهَا بِئْس مَا اقْتَحْما
وَمَن يُثِر فِتْنَة عَمْيَاء سَاكِنَة فَهُو الَّذِي هَتَك الْإِسْلَام وَ الْحَرَمَا
أَبُو الْفُتُوحَات فَخَرُ الْدِّيْن نَاصِرَه حَامِي الْخِلَافَة إِن حَق لَهَا اهتَضْما
مُدَرِّب عَارِف بِالْحَرْب ذُو خِدَع تَخْفَى عَلَى الْوَهْم لَا يَأْلُو بِهَا نِقَمَا
مَنْ لا يُهَاب الْرَّدَى وَالْمَوْت مُكْتَسِح وَلَا يَنَام عَلَى وِتْر إِذَا ظُلْمَا
مَن غَار فِي (غَائِر) وَالْمَوْت يَتْبَعُه وَالْرَّوْع لَم يَبْق فِي تِلْك الْوُجُوْه دَمَا[٥٠]

فاختلاف الخطاب السياسي الموجه إلى المجتمع الحجازي متباين بين الشاعرين؛ فالصحاف يدعو إلى الثورة على خيانة جماعة الاتحاد والترقي، ويعلنها ثورة على الظلم ويبايع الشريف بالولاية؛ بينما الشيخ العمري يرى عدم شرعية تلك المبايعة التزاماً منه بالفكرة الإسلامية، ويحذر من خلع البيعة بل ويرى أن الدعوة للثورة فتنة عمياء، وهذا التباين وتلك الثنائية المختلفة في الخطاب السياسي يظهر لنا أن الدلالات السيميائية كانت مختلفة من ناحية المضمون الذي يؤمن به كل فريق.

٢. المستوى المعجمي:

إن للألفاظ ومعانيها أهمية كبيرة في الحقل الدلالي للقصيدة السياسية، فتركيز الشعراء على بعض الألفاظ، ينتج لنا سيميائية خاصة يمكننا أن نمزجها مع مجموع التجارب التي حدثت في ذلك العهد، ومن ذلك ما ظهر في بعض الأبيات السابقة من إظهار لمستوى الفجيعة التي حلّت بساكني إقليم الحجاز بسبب ما ألمّ بهم من نكبات، ومن تلك الألفاظ: (الذل، تعست حياة، الظلم، غبراء، تذلل، يبكي، يشتكي، يحزن، البلى، يرهب، يرعب، الندب، هدم، محدثات أمور، فتنا، خرابا، لا عمار بها، هدم، حرقت)، فمجمل هذه المفردات تؤكد ما أصابهم من خوف وانكسار استوجب أن يطلبوا الغوث والنجدة، وهي تدل أيضاً على نسق انفعالي يشترك فيه أولئك الشعراء، وتكررت ألفاظ طلب العون في خطابهم الشعري، ومن ذلك: (أغيثوا، هبوا، قوموا، هلموا، اهرعوا)، فهذا المعجم الخاص يتفق مع حاجة الخطاب السياسي إلى تكثيف تلك العلامات المتتابعة لتؤكد على وحدة الأفكار، ففي مجال الفخر بمنجزات الوالي ظهرت ألفاظ خاصة تدل على العزة والقوة، وهي بذاتها إشارات ذات دلالة خاصة، ومن تلك الألفاظ: (المجد، الجياد القفل، عزة، مهابة، فخر، مفاخر، همم، شوامخ، شم الأنوف، مثل الجبال...)، فهذا التضافر في السياق إجراء واع حتى وإن تكاثف بطريقة غير واعية،[٥١] ليدل على فكرة الخطاب الشعري السياسي في هذه القصائد، ويعبر عن توجه ما يفصح عنه من خلال عموم النص الأدبي.

٣. المستوى التركيبي:

لا يمكن إغفال أهمية الجانب النحوي والبلاغي المشكلان للمستوى التركيبي للقصيدة السياسية، ومن أبرز تلك الأساليب النحوية استخدام الأفعال للإيحاء ببعض المعاني، ومن ذلك التكثيف السيميائي في استخدام الفعل الماضي لوصف الوضع الذي آلت إليه حالهم البائسة في ظل تلك المحن، ومن تلك الأفعال: (بكى، وغاب وجرَّ، وسلبت، وألبست، صار، وخف، وعفا...)، فمدلولاتها عميقة تقرر حتمية ما أضحوا عليه، ويعطينا فعل الأمر دلالة أخرى حيث يتكثف وجوده في جلِّ تلك القصائد ليناشد أصحاب الهمم لرفع الظلم وتأمله، ومن ذلك: (قفوا تنظروا ما فعل الظلم)، (جوسوا خلال الدار تنبيكم الأكم)، و (يا صاح ناد البواكي، وأبك أنت معي)، فلفعل الأمر دلالة مميزة اكتسبها من اتصاله بدعوة التحرر والانسلاخ من القهر، ويظهر لنا أسلوب النداء وهو يقارب أسلوب الأمر من ناحية الطلب ففي المثال السابق استخدم الياء وكلمة ناد بمعنى أدع، ومنه أيضاً (يا دمنة سلبت منها بشاشتها) حيث خرج بالنداء إلى معنى أبعد من ذلك حيث يتعجب مما آلت إليه حال المدينة في تلك الفتنة.

كما أن استخدم أسلوب التقديم والتأخير ذو أهمية في الخطاب السياسي، فتأخير الفعل المضارع في قول الشاعر: (هم الملوك تقاعست من دونها) فيه زيادة لاختطاف فِكْرِ المتلقي وأيضاًح إلى أي حد بلغ التقاعس في هم الملوك، ومنه أيضاً تقديم الجار والمجرور، وتأخير الجملة الفعلية في قوله: (على بلدة المختار يبكى ويندب)، وهذا تكثيف للصورة المعنوية المحزنة، وهي زيادة في التركيب السيميائي وتتالي التقديم والتأخير يضفي تكاملاً على المستوى التركيبي من الناحية المعنوية للمتلقي.

ووظف شعراء الشعر السياسي في الحجاز الصورة الحسية بطريقة إبداعية من خلال عنايتهم بالقوالب الاستعارية والتشبيهية، ففي قولهم: (فتنة عمياء ساكنة، تعست حياة... غبراء، ألبست ثياب المحل)، وصف حسي للفتنة وحياتهم البائسة، ولا يكمن أهمية هذه الصور البلاغية في تصوير الموقف فحسب، بل تمتد قوته إلى نفس المتلقي ليشعر بتحرك تلك الأحداث بأنساق مختلفة تلتف مع مجمل الأنساق الأخرى، لتكون الصورة العامة التي تمثل حالة الصورة السياسية وخطابها العام في تلك الحقبة.

ومن أهم مبادئ الخطاب السياسي آنذاك اعتماده على الصور الدينية كثيراً، والتي اتضحت لنا في بعض فقرات هذه الورقة، إلا أنها على المستوى التركيبي تظهر جلية في استخدامهم للأسلوب الاقتباس، حيث تلامس آيات الذكر الحكيم، إما لهدف التخويف بالقوة المادية في الخيل التي وصفت بـ:

المـــوريات العَادِيات ضَـوَابِحا الصّـَافِنَات النَّافِـرات الجـفن

أو باقتباس التخويف من إثارة الفتنة التي يتجاوز إحيائها كل وصف:

وَمَن يُثِر فِتْنَة عَمْيَاء سَاكِنَة فَهُو الَّذِي هَتَك الْإِسْلَام وَالْحَرَمَا

٤. المستوى الإيقاعي:

تميز الشعر السياسي في الحجاز بخصائص إيقاعية أفردته عن غيره من المضامين الأخرى، ومن ذلك ميل الشعراء إلى استخدام إيقاعات خارجية تعبّر عن صورة الخطاب المراد الإفصاح عنه؛ ولذلك استخدموا البحور الطويلة ذات الامتداد الصوتي كالبحر البسيط، والطويل، والكامل؛ فهي خير معين في بسط الخطاب السياسي من الناحية الصوتية لإتاحتها للكثير من الايقاعات المتتالية والطويلة، ومن ذلك قول الشاعر البيتي:

بَكَى عَلَى الدَّارِ لما غَـابَ حـامِيها وَجَـرَّ حَاكِمَها فِـيها أَعَـادِيها
بَكى لِطَـيّبَة إذ ضَـاعَـت رَعِـيّتَها وَرَاعَـها بِكِـلاب الـبَّر راعِـيها
يا صَاحَ نَاد البَواكِي وابْكِ أَنتَ مَعي مِنَ الأَسَـى فَبِمَن نَرجـو تأَسِيها

فهذه القصيدة من بحر البسيط المعروف بسهولة ايقاعاته وأوزانه، كما اهتم الشعراء بالإيقاع الداخلي الذي تحدثه الكلمات فتوسلوا بصنوف المحسنات البديعية كالجناس، والطباق، والموازنات، ومن ذلك في النص السابق تكرار كلمة بكى في بداية تلك الأبيات، فضلاً عن حسن التقسيم للجمل الداخلية؛ حيث أعطى ذلك جرساً خاصاً يتكامل مع الإيقاع الموسيقي للبحر الشعري ومن ذلك: (بكى على الدار)، و(لما غاب حاميها)، و(واهاً لغربتها)، و(واهاً لجائعها)، و(واهاً لعاريها) فكل جملة تكون ايقاعا داخلياً ثنائياً، فضلاً عن تتالي الكلمات: (كربتها، عثرتها، جائعها، عاريها) التي تمثل إيقاعاً آخر، وهذا يدعم الشاعر أيضاً في خطابه وإيصال فكرة الألم بالرموز الإيقاعية المساعدة له، فتناوب الألفاظ ذو أهمية كبيرة في هذا الخطاب الإيقاعي الدال على الحزن، وهذه القصيدة تشبه في إيقاعاتها الحزينة نونية ابن زيدون[٥٢] التي تهيج على البكاء وتؤكد على لوعة الفراق، وهذا يشير إلى سيميائية خاصة تجمع بين الخطاب الشعري الحزين، فالباكي على محبوبته كابن زيدون أو الباكي على فراق محبوبته–المدينة المنورة– من جهة شعراء أهل المدينة المنورة يشتركان في خطاب واحد، ويظهر ذلك جلياً بالجمع بين هاتين القصيدتين:

أضحَى التنَائي بَدِيلا عَن تَدَانِينا وَنَابِ عَن طِيبِ لُقيَانَا تَجَافِينا
فَـمَن مُعِـينِي بِأَحزَان يُضَاعِفُها عَلي؟ مَن لِعُيوني؟ مَن يُواسِيها؟

وظهر أيضاً نوع أخر من أنواع الإيقاع الداخلي ألا وهو التصريع؛ وهو يزيد النص الشعري شحنات موسيقية لامتداده في أشطر البيت، ومن ذلك قول الشاعر:

المجدُ تحتَ ظِلالِ سُمرِ الذبْل وظِبا القَوَاضب والجياد القفْل

وقوله: بَكَى علَى الدَّهرِ لما غَابَ حامِيها وَجَرَّ حاكمَها فيها أَعَادِيها

فالتصريع الإيقاعي الحادث نهاية العروض والضرب يحسن الموسيقا الداخلية، ويزيدها جمالاً ورونقاً عند السماع؛ ولكن الأمر يتعدى إلى أبعد من ذلك؛ فهذه الموسيقا لها إيحاؤها الخاص في تقوية الخطاب وتزيد إضافة غير مكتوبة إليها، وهذا ما لوحظ في أغلب قصائد الشعر السياسي، ومنها القصائد الدالة

على الانكسار وطلب العون، والتي اتخذت نغماً خاصاً بها، أو في القصائد الأخرى التي ركزت على جانب القوة والاعتداد في ذات الدولة العثمانية آنذاك.

الخاتمة:

١. إن الخطاب السياسي يتجه في ذلك العصر إلى ثلاث اتجاهات مهمة؛ ومنها: ما يتصل بالحالة الاجتماعية لعموم المجتمعات العربية في ظل ذلك الاضطراب السياسي والفتن المتنوعة التي اجتاحت الدولة العثمانية في نهايتها؛ فعكس ذلك الخطاب تطلعات الأمة الطامحة إلى العزة والأمن والأمان، ويتصل الاتجاه الثاني بالجانب الوجداني فهذا الخطاب كان متسماً بتكرار الانفعالية في الخطاب والتضخيم للأهوال الحادثة، وهو بذلك يرسم الجانب النفسي لتلك الأمة التي لا تعرف ما ستؤول إليه أمورها، وأخيراً يعد الخطاب السياسي نصا تاريخيا يوثق الأحداث ويرسخها مع تفاصيل أدق لما هو الحال في تلك المدة.

٢. إن الشعر السياسي الواصف للنكبات والفتن في اقليم الحجاز ليس مجرد وصف للأحداث السياسية في بشكل قصصي أو تاريخي؛ بل هو تسجيل للتحولات الاجتماعية الحاصلة، وهذا ما عبّر عنه عموم الخطاب السياسي المستفاد من تلك الأحداث التي تعطينا دلالات سيميائية تجمع لنا إشارات مهمة عن حالة تلك الحقبة.

٣. ونؤكد أن هذه الورقة محاولة لجمع بعض الإشارات السيميائية للنص الشعري السياسي نهاية مدة حكم الدولة العثمانية، ونظراً إلى صر صفحاتها فقد حاولت تعويض ذلك بعرض فكرة عامة عن أشهر المصطلحات التي تطرقت إليها مثل: (السيميائية، الشعر السياسي، الحجاز...)، وهي بذلك تشرع باب البحث العلمي أمام دراسات أعمق تتناول كل جزئية بمزيد من التفصيل والاتساع.

هوامش البحث:

[١] انظر: ريفاتير، ميشال، **معايير تحليل الأسلوب**، ترجمة: حميد لحمداني، (الدار البيضاء: دار النجاح، ١٩٩٣م)، ص١١١٢.

[٢] انظر: بنعياد، محمد، "سيميائية الخطاب وخطاب السيميائية"، **مجلة علامات الأدبية**، المغرب، (ع)٢٩، ٢٠٠٨م، ص٤٥.

[٣] انظر:

F.de Saussure, *Course in General Linguistic*s, translated by Ray Harris, Dukworth, London 1998 .P. 25.

[٤] انظر: دارفي، زبير، **محاضرات في اللسانيات**، (الجزائر: المطبوعات الجامعية المركزية بن عكنون، د .ت)، ص٩٩.

[٥] انظر: دي سوسير، فرديناند، **محاضرات في علم اللسان العام**، ترجمة: عبدالقادر قنيني، (الدار البيضاء: دار توبقال، ١٩٨٧م)، ص٨٨.

[٦] انظر: الأحمر، فيصل، **معجم السيميائيات**، (الجزائر: الدار العربية للعلوم، ٢٠١٠م)، ص٤٢.

[٧] انظر: فان ديك، **علم النص**، ط١، ترجمة: سعيد البحيري، (القاهرة: دار القاهرة، ٢٠٠١م)، ص١١٥.

[٨] انظر: السرغيني، محمد، **محاضرات في السيميولوجيا**، ط١، (الدار البيضاء: دار أفريقيا الشرق، ١٩٨٧م)، ص٥٤-٥٥.

[٩] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م). مادة (س و س)

[١٠] الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، **القاموس المحيط**، ط٨، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦م). مادة(س و س)

[١١] الخواجة، إبراهيم شحادة، **شعر الصراع السياسي في القرن ١٢هـ**، (الكويت: شركة كاظم للنشر، ١٩٨٤م)، ص٨.

[١٢] ابن أبي الصمة، دريد، **ديوان دريد بن أبي الصمة**، تحقيق: عمر عبد الرسول، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م)، ص٦٢.

[١٣] ابن أبي سلمى، زهير، **ديوان زهير بن أبي سلمى**، شرح: حمدو طماس، (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٦م)، ص٦٦.

[١٤] انظر: الجراري، عباس، **في الشعر السياسي**، (الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٧٤م)، ص٧٦١.

[١٥] انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٧م)، مادة (ح ج ز).

[١٦] الحموي، شهاب الدين ياقوت، **معجم البلدان**، (بيروت: دار صادر، ١٩٥٥م)، ج٢، ص٢١٨.

[١٧] ولد محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان أبو نمي شريف حسني عام ٩١١هـ، وتولى إمارة مكة عام ٩٣١هـ، وتوفي سنة، ٩٩٢هـ. انظر: الزركلي، خير الدين، **الأعلام قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط١٥، (بيروت: دار العلم للملايين، د.ت)، ج٦، ص٥٢.

[١٨] انظر: بدر، عبد الباسط، **التاريخ الشامل للمدينة المنورة**، ط١، (المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٩٩٣م)، ج٢، ص٢٢٩٢٣٠.

[١٩] انظر: الشناوي، عبد العزيز محمد، **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها**، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦م)، ج٢، ص٨٦١٨٦٢.

[٢٠] انظر: السباعي، أحمد، **تاريخ مكة**، (مكة المكرمة: دار نمة للطباعة، ١٩٧٩م) ج٢، ص٥١٥.

[٢١] انظر: دحلان، أحمد بن زيني، **تاريخ أشراف الحجاز: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام**، ط١، تحقيق: محمد أمين توفيق، (الكويت: دار الساقي، ١٩٣٣م)، ص٧١٧٣.

[٢٢] انظر: بدر، عبد الباسط، **التاريخ الشامل للمدينة المنورة**، (المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٩٩٣م)، ج٢، ص٣٤٦.

[٢٣] انظر: السباعي، أحمد، **تاريخ مكة**، ج٢، ص٣٣٧.

[٢٤] انظر: الأنصاري، عبد الرحمن، **تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب**، ط١، تحقيق: محمد العروسي المطوي، (تونس: المكتبة العتيقية، ١٩٧٠م)، ص٦٨.

[٢٥] انظر: حمداوي، جميل، **مدخل إلى المنهج السيميائي**، نقلا عن: جان كلود كوكيه، **مجلة عالم الفكر**، الكويت: ج(٣)، مارس ١٩٩٧م، ص٨.

[٢٦] استخدمت كلمة آغا في الحجاز لتسمية مجموعة من الرجال الخصيان سخروا أنفسهم لخدمة الحرمين الشريفين. انظر: عبد الغني، عارف أحمد، **تاريخ أمراء المدينة المنورة**، (دمشق: دار كنان، ١٩٩٧م)، ص٢٥٠، ٢٥٢؛ وانظر: نصر، أحمد عبدالرحيم، **أغوات الحرمين الشريفين: دراسة تاريخية مقارنة**، ط١، (كوالالمبور: دار التجديد، ١٩٨٦م)، ص١٥-١٦.

[٢٧] وصلت أول حامية عسكرية عثمانية للمدينة ٩٣٩هـ من خمسين رجل لحراسة عمال بناء سور المدينة، ثم كونوا نواة القوة العسكرية التي تتألف من أربعة فرق أو ما يسمى بأوجقة الجيش وهم: (وجاق الإنكشارية): وهم أشد الفرق الشديدة المخصصة للحراسة، (وجاق النوبتجاية): وهم فرقة عسكرية من المشاة، (وجاق الإسباهية): وهم مجموعة الفرسان، (وجاق القلعة) وهم فرقة ترابط لحراسة قلعة المدينة. انظر: بدر، عبد الباسط، **التاريخ الشامل**، ج٢، ص٣٣٨-٣٤٣؛ وانظر: الأنصاري، عبد الرحمن، **تحفة المحبين**، ص٤١١.

[٢٨] هو: أحد أفراد وجاق النوبتجاية كان رجلاً شجاعاً مشهوراً، اشتهر ببيع الحبوب في باب المصري، قتله جماعة من أهل القلعة في دكانه سنة ١١٥٦م. انظر: بدر، عبد الباسط، **التاريخ الشامل**، ج٢، ص٣٣٨-٣٤٣؛ وانظر: المدني، جعفر بن السيد حسين، **الأخبار الغريبة فيما وقع** بطيبة الحبيبة، ط١، (القاهرة: مطبعة الخانجي، ١٩٩٣م)، ص ٣٨.

[٢٩] وهو الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد يتصل نسبه إلى أبي نَمي الأكبر الحسني الهاشمي القرشي أمير مكة وسلطان الحجاز، ولد في حدود سنة ١١٦٧هـ في مكة المكرمة. توفي عام ١٢٠٢هـ. انظر: عبد الغني، عارف أحمد، **تاريخ أمراء المدينة المنورة**، (دمشق: دار كنان، ١٩٩٧م)، ص٣٩١ ٣٩٢.

[٣٠] وهو جعفر البيتي السقاف باعلوي الحسيني، ولد بالمدينة سنة ١١١٠هـ، كان شاعراً مجيداً، وبرع في الطب. انظر: الأنصاري، عبد الرحمن، **تحفة المحبين**، ص١٢٣.

[٣١] انظر: الحسيني، محمد بن رضي، **الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر**، (جدة: دار العلم، ٢٠٠٢م)، ص١٧٦-١٨٢.

[٣٢] البيتي، جعفر، **ديوان البيتي السقاف**، (الرياض: مخطوطات مكتبة جامعة الملك سعود، د.ت)، ص٢٩.

[٣٣] سورة الأنعام، الآية ٨٢.

[٣٤] البيتي، جعفر، **ديوان البيتي السقاف**، ص١٣.

[٣٥] هو محمد بن سعيد بن سفر أمين ولد عام ١١٧٧هـ، سافر إلى تركيا لطلب العلم ومنها إلى مصر والشام، وأصبح خطيباً وإماماً، وكف بصره واشتغل بالتدريس توفي عام١١٩٤هـ. انظر: الأنصاري، عبد الرحمن، **تحفة المحبين**، ص٢٨٣.

[٣٦] الحسيني محمد بن رضي ، **الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر**، ص١٨٦.

[٣٧] هو أحمد بن عمر بن حمزة البساطي، ولد سنة ١١٥١هـ، كان إماماً وخطيباً. انظر: الأنصاري، عبد الرحمن، **تحفة المحبين**، ص٩٦.

[٣٨] الحسيني، محمد بن رضي، **الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر**، ص١٩١-١٩٤.

[٣٩] انظر: المدني، جعفر بن السيد حسين، **الأخبار الغريبة فيما وقع في طيبة الحبيبة**، ص٩٨.

[٤٠] البيتي، جعفر، **ديوان البيتي السقاف**، ص١٥.

[٤١] المرجع السابق، ص١٣.

[٤٢] الحسيني، محمد بن رضي، **الشعر في المدينة في القرن الثاني عشر**، ص١٨٦.

[٤٣] السبت، عبد الرحمن بن أحمد، **شاعر العهود الثلاثة عمر بن إبراهيم البري**، ط١، (جدة: النادي الأدبي، ٢٠٠٤م)، ص٥٤.

[٤٤] انظر: أبو بكر، عبد الرحيم، **الشعر الحديث في الحجاز**، (القاهرة: المطبعة السلفية، ١٩٧٧م)، ص١١٣.

[٤٥] هو إبراهيم بن حسن بن حسين بن رجب الأسكوبي، ولد بالمدينة المنورة سنة ١٢٦٤هـ، وتوفي سنة ١٣٣٢هـ، تربى في بيت علم وخلق فوالده تتلمذ على يد مشايخ المسجد النبوي الشريف، وأصبح بعد ذلك من أئمته. انظر: الزركلي، خير الدين، **الأعلام قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج١، ص ٢٩.

[٤٦] الأسكوبي، إبراهيم بن حسن، **ديوان إبراهيم الأسكوبي**، ط١، تحقيق: محمد العيد الخطراوي، (المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ١٩٨٩م)، ص٦٥.

[٤٧] انظر: أبو بكر، عبد الرحيم، **الشعر الحديث في الحجاز**، (الرياض: دار المريخ للنشر، ١٩٨٩م)، ص١١٠.

[٤٨] هو: عبد المحسن بن يعقوب الصحاف، شاعر عاش في بؤس ولد في البحرين عام ١٢٩١هـ، انتقل لمكة وتوفي فيها سنة ١٣٥٠هـ، انظر: الزركلي، خير الدين، **الأعلام قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج٤، ص١٥٣.

[٤٩] الفوزان، إبراهيم فوزان، **الأدب الحجازي الحديث**، (القاهرة: الخانجي، ١٩٨١م)، ج١، ص ١٩٣.

[٥٠] أبو بكر، عبد الرحيم، **الشعر الحديث في الحجاز**، ص١١٢.

[٥١] انظر: ريفاتير، ميشال، **معايير تحليل الأسلوب**، ص٦٢.

[٥٢] هو أحمد بن محمد بن غالب بن زيدون ولد في قرطبة كان وزيرا وسفيرا لأمراء الطوائف بالأندلس، اشتهر بحبه لولادة بنت المستكفي، وتوفي عام ٤٦٣هـ، انظر: الزركلي، **الأعلام**، ج١، ص١٥٨.

References المراجع

ʿabd Al-Ghani, ʿarif ʾaḥmad, *Tarikh ʿumaraʿa al-Madinah al-Munawwarah*, (Damascus: Dār Kinan, 1997).

ʾabu Bakr, ʿabd al-Rahim, *al-Shiʿr al-Hadīth Fī al-Hijaz*, (Cairo: al-Maṭbaʿah al-Salafīyyah, 1977).

Al-Ahmar, Faisal, *Muʿajam al-Semiaʾiyat, al-Dār al-ʿarabiyyah Lilʿulum*, (Algeria: Dār al-Ikhtilaf, 2010).

Al-ʾanṣari, ʿabd al-Rahman, *Tuḥfah al-Muḥibbīn Wa al-ʿaṣḥab Fī Maʿarifah Ma Lilmadniyyīn Min al-ʾansab*, 1st Edition, Taḥqīq: Moḥammad al-ʿArosi al-Matwi, (Tunusia: al-Maktabahah al-ʿatiqiyah, 1970.

Al-ʿaskubi, ʾibrāhīm Bin Hasan, *Diwān al-ʿaskubi* ʾibrāhīm, 1st Edition, Taḥqīq: Moḥammad al-ʿīd al-Khaṭrawi, (al-Madinah al-Munawwarah: Maktabahah Dār al-Turath, 1989).

Al-Baiti, Jaʿafar, *Diwān Al-Baiti Al-Saqqaf*, (Riyadh: Makhṭūṭat Jamiʿah al-Malik Suʿud).

Al-Fairoz ʾābadi, Majd al-Dīn Moḥammad, *al-Qamūs al-Muḥīṭ*, 8th Edition (Beirut: Muʿassasah al-Risalah, 2006).

Al-Fawzan, ʾibrāhīm Fawzan, al-ʾadab al-Ḥijazi al-Ḥadīth, (Cairo: al-Khanji, 1981).

Al-Ḥamawi, Shihab al-Dīn Yaqūt, *Muʿajam al-Buldan*, (Beirut: Dār Beirut, 1955).

Al-Ḥussieni, Moḥammad Bin Raḍi, *al-Shiʿr Fī al-Madiynah Fī al-Qarn al-Thani ʿashar*, (Jeddah: Dār al-ʿilm, 2002).

Al-Jarari, ʿabbas, *Fī al-Shiʿr al-Siasiy*, (Casablanca: Dār al-Thaqafah, 1974).

Al-Khawajah, ʾibrāhīm Shehadah, *Shiʿr Al-Ṣiraʿ al-Siasi Fī al-Quarn Fī 12 H*, (Kuwait: Sharekat Kaẓim Lilnashr, 1984).

Al-Madani, Jaʿafar Bin al-Sayyid Ḥussien, *al-ʾakhbar al-Gharibah Fima Waqaʿa Bi Ṭaibah al-Ḥ ʾabibah*, 1st Edition (Cairo: Maṭbaʿah al-Khanji, 1993).

Al-Sabt, ʿabd Al-Rahman Bin ʾaḥmad, *Shaʿir al-ʿuhud al-Thalathah: ʿumar Bin ʾibrāhīm al-Barri*, 1st Edition, (Jeddah: al-Nadi al-ʾadʾabiy, 2004).

Al-Sarghini, Moḥammad, *Muhāḍarāt Fī al-Simiolojia*, 1st Edition, (Casablanca, Dār ʾafriqia al-Sharq,1987).

Al-Shinnawi, *ʿabd al-Aziz Moḥammad, al-Daulah al-ʿuthmainiyyah Daula ʿislamiyyah Muftara ʿaliha*, (Cairo: Maktabahah al-ʾanjlo, 1986).

Al-Sibaʿi, ʾaḥmad, *Tarikh Makkah*, (Makkah al-Mukarramah: Dār Numah Lilṭibāʿah, 1979).

Al-Zirakli, Khair al-Dīn, *al-ʾaʿlām Qamūs Liʾashahar al-Rijal Wa al-Nisaʾ Min al-Rʿrab Wa al-Mustaʿribīn Wa al-Mustashrqīn*, 15th Edition, (Beirut: Dār alʿilm Lilmalayīn, No Date).

Bader, ʿabd al-Baseṭ, *al-Tarīkh al-Shamil Lilmadinah al-Munawwarah*, (al-Madinah al-Munawwarah: Markaz Buḥūth Wa Dirasāt al-Madinah al-Munawwarah, 1993).

Binʿaiyyad, Moḥammad, "Simiaʾiyyah al-Khiṭab Wa Khiṭab al-Simiaʾiyyah", *Majallah ʿālamat al-ʾadabiyyah*, al-Maghrib, ʿadad (29), 2008.

Daḥlan, ʾaḥmad Bin Zaini, *Tarikh ʾashraf al-Hijaz, Khulasah al-Kālam Fī Bayan ʾumaraʾ al-Balad al-Ḥaram*, 1st Edition, Taḥqīq: Moḥammad Amin Tawfiq (Kuwait: Dār al-Saqi, 1933).

Dārfi, Zubair, *Muhadārat Fī al-lisaniyyat*, (Algeria: al-Maṭbuʿat al-Jamʿiyyah al-Markaziyyah Bin ʿAnkon, No Date).

Ferdinand, De Saussor. 1998. *Course in General Linguistics*. Translated by; Ray Harris, Dukworth, London.

Ferdinand, De Saussor, *MuhaDārat Fī ʿilm al-Lisan al-ʿām*, Tarjmah: ʿabd al-Qadir Qunaini, (Casablanca: Dār Tobqal, 1987).

Hamdawi, Jamil, Madkhal ʾila al-Manhaj al-Simiaʿai, ʿAn Jan Kloud Kokieh, *Majallah ʿālam al-Fikr*, Kuwait, 1997).

Ibn ʾabi al-Summah, Duraid, *Diwān Duraid Bin ʾabi al-Summah*, Taḥqīq: ʿumar ʿabd al-Rasol (Cairo: Dār al-Maʿarif, 1980).

Ibn ʾabi Sulma, Zuhair, *Diwān Zuhair Bin ʾabi Sulma*, Sharḥ: Hamdo Tammas, (Beirut: Dār al-Maʿarifah, 2006).

Ibn Manẓūr, Jamal al-Dīn, *Lisān al-ʿarab*, (Beirut: Dār Beirut, 1997).

Naṣr, ʾaḥmad ʿabd al-rahim, *ʾaghawat al-Ḥaramain al-Sharifain: Dirāsah Tarikhiyyah Muqarinah*, 1st Edition, (Kuala lumpur: Dār al-Tajdid, 1986).

Revater, Mishal, *Maʿayyīr Taḥlil al-ʿushūb*, Tarjamah: Ḥamid Laḥmdali, (Casablanca Dār al-Najaḥ, 1993).

Van Diek, *ʿilm al-Naṣ*, Tarjamah: Saʿīd al-Buḥairi, 1st Edition, (Cairo: Dār Cairo, 2001).